

رئيس إلى الأبد



أهمية المجتمع الزغرتاوي أنه عروبي، عصبته مناطقية لا طائفية (هيلم الموسوي)

البلدي بين فرنجية وميشال معوض «خطوة حلوة»، بنظر الرجل. ولكن «البلدية فيلم كبير. بللي منجيبو بيقلب ضدنا». إجمالاً، «زغرتا رايقة والمنطقة صافية لفرنجية».

«بتعرفي الزعامة بيتت فرنجية من ايمتي؟»، يسأل رجل كان يعمل في الجمر. كانوا ثلاثة داخل «عبروت»، أمامهم عدد من الصحف. يعتبرون على «الأخبار»: «إيش زعجها بترشيح البيك؟ بإيش تنازل البيك لنتيار المستقبل؟ رح قلك شغلة وقوليها لـ (رئيس التحرير ابراهيم) الأمين. أخصام بيتت فرنجية هني ذاتن، يوم شيوعين ويوم بعثين وهني اليوم قوات وعونيين. تاريخيا نفسن بينتخبوا ضدو. فما خسر شي». بضيف رجل آخر بأن «السيد حسن قال إنه يتق بفرنجية. ونحن هنا جماعة الوزير فرنجية تشكلت 90% من زغرتا. نحن جعلنا الجميع يحب نصرالله. ومن هنا أساس سياسة البلد». بالنسبة له «سليمان ليس بزعيم عادي. هو أكبر زعيم في لبنان». أهمية آل فرنجية أن «تاريخهم يمتد منذ 1856 حتى اليوم. زعامة مبنية على الشرف ونظافة الكف». يُستغفر الرجل الأول من اتهام فرنجية بأنه استفاد من الوزارات التي تسلمها لـ «تسجيل» الخدمات «هوي كريم الأخلاق وما بيرد شغلة عن حدا. من مين أخذ؟ حكّم العالم من جيبتو. ورح نمر للناس؟ ما كل الوزراء اللي قبلو وبعدو عملوا هيك». بالمناسبة، تكثر في القضاء سيارة تكون لوحة تسجيلها غير «مميزة».

غلة الانتقادات الكبيرة من نصيب عون، «ليكي لأي مستوى وصل. طلع اجتمع بخالد ضاهر». الحق على «سليمان كبرو (عون) وصار يقن انو مثل بيو! لك بيك انت طوني بيك». ولكن ليس عون صاحب أكبر تكتل مسيحي وتيار يمتد على مساحة الوطن؟ «إذا قبضاي يفوت عا الشمال اذا سليمان ما موافق»، يقول الرجل. مناصراً فرنجية أكيدان: «إذا ما إجا البيك ما في رئيس جمهورية». بعد ترشيح الحريري لفرنجية إلى رئاسة الجمهورية، كان لافتاً تضامن

الوزير فرنجية. بس عون ما عم يعرف إنو حظو ولا شي». الأمال كبيرة بأن يُنتخب فرنجية رئيساً: «رح يصير في خدمات أكثر وترقيت طرقات بلدة الرئيس. مثل ما الواحد يكون معو ألف دولار ويربح اللوتو بمليون»، يقول الرجل الذي يزعم أنه كان أحد العاملين مع «خبي» الوزير يوسف سعادة. ولكن كيف تقبلون أن يصفكم فرنجية بأبشع النعوت؟ «يا اختي عبولو منيح براسو هوي ونازل من بنشعي. فُكر في قتلي». يتذكر الرجل ذلك اليوم من عام 2009: «سواء انتقدتينا أم لا، ولكن نحن كاهالي زغرتا لن نقبل أن يأتي واحد رافعاً علم القوات. أما علم حركة الاستقلال (آل معوض)، فلم يمسه أحد». الاتفاق

أهمية هذا المجتمع ليست في «قوته»، بل في أنه عروبي الهوي، «عصبته مناطقية لا طائفية». يُسجل للجمهور الزغرتاوي أنه «لم يؤمن يوماً بالفدرالية أو بالتقسيم. استشهاد طوني فرنجية كان جزءاً من هذه المعادلة». الرجل في «عبروت»، الذي كان قد انتهى من شرب قهوته، فخور بذلك: «آل فرنجية من أساس المقاومة في لبنان». من هذه النقطة «ينقض» الرجل على النائب ميشال عون، منافس فرنجية إلى رئاسة الجمهورية. «نحن مع المقاومة إيماناً وليس من أجل الحفاظ على حقوق المسيحيين». أصلاً، «السيد (حسن نصرالله) حكها مبطنة. إذا ما في مجال لعون بالرئاسة، ما في إلا

الجميع، فترتفع اعتراضات الرجال الآخرين. «بكد نحكي جد هلق؟»، يسأل في لبنان «الشعب لا يُقرر. كلهم يملكون القصور وبلدية هنا لا نملك». جُل ما يطلبون «أن يعمل في السياسة الأشخاص المثقفون. نحن يهمننا الإنماء ولكن للأسف معظمهم يهمنه الزعيم». يمد يده، مشيراً إلى الطريق والساحة: «اطلعي بهيدي البلاد، رينيه بيك معوض هو الوحيد يللي اشتغل. اليوم، العصبات والمصالح الشخصية تحكمننا». كل ذلك، لا يُفسد في الود قضية، «هذا هو رقم فيرا يمين، اتصلت بها في مناسبة عيد ميلادها لأعيادها». شاب من الضنية كان يقف أمام محله التجاري. حاول الطلب من الرجال التكلم بهدوء، معبراً عن اعتقاده بأنه «ما حدا رح يعملنا شي». «انت غريب ما تحكي»، يأتيه الجواب على سبيل نكتة. يبدو أن «الغريب» ليست خاصية كسروانية. زغرتا بعد ترشيح فرنجية إلى رئاسة الجمهورية غمرت بها الغبطة. صور «الرئيس - المواطن» زينت السيارات وخيشت الكثير من المعارك «الافتراضية». يقول أحد المسؤولين الحزبيين السابقين إن في لبنان نظامين: «نظام الـ 1943 الذي أنتج اقطاعيات وطنية ونظام الحرب الذي أثمر حكاما طائفيين. فرنجية لا ينتمي إلى الفئة الأخيرة».

فعاليت زغرتا معه، وبينهم خصماء ميشال معوض وجواد بولس. الأول زاره هو اليوم أنجز مع تيار المردة إتفاقاً بلدياً عنوانه العريض عدم إلغاء أحد. والثاني لم يبخل بتغريداته الداعمة للترشيح. ليس ذلك بالأمر الغريب. ساحات زغرتا تتذكر كيف شبك الرئيس سليمان فرنجية ورينيه معوض أيديهما بعد انتخاب فرنجية رئيساً. إلا أن الآراء الشعبية في محيط «المرحان»، لا تصب كلها مع فرنجية. يجتمع مارسيل وحنا وإيلي وبيار أمام المحال التجارية، محاولين رصد المازة. ومن النادر أن يمر أحد دون أن تعلق أصواتهم مرخبة. «سعد الحريري توجه إلى روسيا ليطلب من (الرئيس الروسي فلاديمير) بوتين يأيد فرنجية. وبوتين بدو ياه»، يقول حنا ساخراً من الترشيح. مارسيل يُطالب بصالح حنية رئيساً للجمهورية فيما يريد إيلي ديميانوس قطار. ابن عم السيدة فيرا يمين يحسمها: «ما في رئيس إلا ميشال بيك معوض». تعلق الضحكات المهللة لكلام كهذا يصدر عن نسيب يمين. أما هو، فيُصر على جدية طرحه. تمر سيّدة من آل فرنجية ومتزوجة من آل معوض، يستوقفها مارسيل ليسمع رأيها. هي مع «ترشيح فرنجية لأنه ابن زغرتا». يحاول مارسيل «السيطرة» على آراء

أحياء العائلات

بعدما تحوّلت زغرتا إلى مشتي لإهدن، حافظت في البدايات على هويتها الزراعية، ولا سيّما الزيتون. رويداً رويداً بدأت تتحول إلى مركز اقتصادي وتجاري. العائلات الكبرى في زغرتا هي: دويهي، معوض، فرنجية، كرم ومكاري، إضافة إلى عائلات أخرى مثل يمين، فنيانوس، سعادة واسكندر. في المراحل الأولى لتأسيس زغرتا، كانت كل عائلة تسكن في حارة فينسب الحي إليها. يُقسمها رئيس حركة الأرض طلال الدويهي على النحو التالي: حي المعاصر معظم سكانه من آل فرنجية. فيما تقاسم حي السيدة الغربي وحي السيدة الشرقي عائلات دويهي، كرم ومكاري. آل معوض مركزهم حي الصليبي الشمالي والجنوبي. في حارة كرم التين هناك وجود لآل مكاري. حي بو أسعد أو ما يُعرف بغرة آل كرم هو تجمع لعائلات «صغيرة توالي آل كرم». بعد التطور الديمغرافي، لم تعد الأحياء حكراً على عائلات معينة.

تمثيلاً نيابياً للمردة في عكار وطرابلس والكورة، كذلك يسهم بمحاصرة خصمهم البشراوي اللدود. والجدير ذكره ختاماً أن شرعية ترشيح فرنجية إلى رئاسة الجمهورية أكبر. شعبياً وأخلاقياً - من شعبية ترشيح كثيرين - بمن فيهم الرئيس أمين الجميل ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع. إلا أن فرنجية نفسه لم يتعامل بالجدية المطلوبة مع ترشيحه حتى بقى رئيس الحكومة السابق سعد الحريري بحصة مبادرته. وهو دأب على الإيحاء أن مشروعه السياسي يقوم على وراثة العماد ميشال عون دون اتخاذ أية خطوة جدية بهذا الاتجاه، قبل أن يقبل الطاولة على هذا كله ويخاصم الجمهور العوني، معلناً أن مشروعه طمانة الجمهور السني وانتخاب رئيس يطمئن جميع المكونات ولا يستفز أحداً، بعد أن أمضى حياته السياسية يستهزئ بمن أفنوا عمرهم توافقيين.

الحكومات الحزبية المتعاقبة ومن يقف خلفها لم تتعامل مع فرنجية تعاملها مع سائر أبناء البيوتات السياسية المسيحيين، فقد أطلقت يد فرنجية شمالاً دون عوائق جدية وتجاوزت تمثيله السياسي زغرتا باتجاه بشري والكورة والبترون وطرابلس وعكار. لكنه لم يستطع الحفاظ على نفوذه أو حماية حلفائه بعد 2005.

أما اليوم، فيعول المرديون على حجر زاوية جديد يسهم في تدعيم زعامتهم ودفعها إلى الأمام، هو علاقتهم بتيار المستقبل. العلاقة بالرئيس السوري بشار الأسد وبحزب الله والتيار الوطني الحر حالت دون استفاد أي كان بفرنجية، إلا أن توسع الزعامة ووقوفها على قدميها مستحيل، بحسب مصدر مردي، من دون تحالف مع تيار المستقبل. فالتحالف مع حزب الله يؤمن مظلة سياسية، لكن لا يسمع صوته في صناديق الاقتراع، فيما يضمن التحالف مع المستقبل

أمسك بالوزارة الخدماتية الأولى شعبياً (الصحة) خمس سنوات. والمقارنة بين سياسيي الوصاية السورية تين أن الشريك المسيحي للرئيسين رفيق الحريري ونبيه بري والنائب وليد جنبلاط كان المر في جبل لبنان وفرنجية في الشمال. وحصّة المقربين من فرنجية من الكسارات والمرامل والإعلام وشركات الإسمنت والنظ والغاز والاعتمادات على الأملاك البحرية والكميونات وسوكلين والمطار واللوتو والمرافئ والكازينو وغيرها وغيرها كانت أكبر بكثير من حصّة المر. وهو - على غرار بري وجنبلاط - لم يكتف بالتوظيف والخدمات الصغيرة والتنقيحات الكثيرة للمقربين منه، إنما أثن لمنطقته عدة مشاريع كبيرة ذات طابع إنمائي. ومن يتنقل بين زغرتا وإهدن يجد أوتوسترادات وحيطان دعم وأعمدة الإنارة أفضل من تلك التي يجدها في الشوف والجنوب. والجدير ذكره دائماً أن

الشريك المسيحي
لرفيق الحريري وبري
وجنبلاط كان المر في
جبل لبنان وفرنجية
في الشمال

وهم «يعرفون العالم» وفق المفهوم السياسي - الخدماتي. والأهم من هذا كله أن خدمتهم للزغرتاوي لا تتأخر أبداً. ويختصر أحد المطلعين اليتمهم بممارسة السياسة بمن حضر، فهم لا يطرقون الأبواب، لكن لا يكاد أحد يطرق بابهم حتى يعلق في ماكبتهم. علماً أن «الصبت في وزارة الداخلية مثلاً للنائب ميشال المر، فيما الفعل لفرنجية» يقول أحد عمداء الداخلية، وهو